اللف والنشر بين المصطلح والقيمة

Alafi wal Nashr between Term and Value

إعداد

طيبة حسين سعيد محمد

Taiba Hussein Saeed Mohammed

معلمة في ثانوية الحكمة - المدينة المنورة

Doi: 10.21608/ajahs.2023.295642

استلام البحث ٢ / ٢ / ٢٠٢٣

قبول البحث ١٧ / ٢ / ٢٠٢٣

محمد، طيبة حسين سعيد (٢٠٢٣). اللف والنشر بين المصطلح والقيمة مصري . ***المجلة العربية للآداب والدراسات الإنسانية***، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، ٧(٢٦) أبريل، ١٢٧ – ١٦٤.

http://ajahs.journals.ekb.eg

اللف والنشر بين المصطلح والقيمة

المستخلص:

لقد قامت جملة من الدراسات على اعتبار القرآن الكريم مادتها الوفيرة التي تستمد منها قوة موضوعها، وكذلك الشعر العربي والتراث بنصوصه المختلفة، وبلاغة القرآن كانت أهم الملامح الموضوعية التي تستلهمها هذه الدراسات وتنطلق إلى القرآن من خلالها، إلا أنه كثيرًا ما تعاملت هذه الدراسات مع مباحث مشهورة- نسبيًا- من حيث ترددها في التراث العربي، مثل التشبيه والاستعارة والكناية والمجاز المرسل... وغيره من مباحث علم البيان، والتقديم والتأخير والقصر... وغيره من مباحث علم المعاني، والجناس والطباق والترصيع... وغيره من مباحث علم البديع، إلا أن هذا البحث يقوم على بيان مصطلح أقل شهرة من حيث مقارنته ببقية المباحث البلاغية في علوم البلاغة الثلاثة؛ المعاني والبيان والبديع وهو مصطلح (اللف والنشر)، وهو من المحسنات البديعية المعنوية، حيث تناول البحث هذا المصطلح بصورة عامة في المدونة التراثية العربية وما حولها، وقد تضمن داخله المفردات التي دارت حوله في التراث العربي (صحة التفسير- التبيين- التوضيح...)، وكذلك التعرف على قيمة اللف والنشر وما ورد في القرآن الكريم وجميل الشعر العربي من نماذج لهذا المصطلح أو مصطلحاته المقابلة، من حيث التوظيف، مما يكشف عن قيمة هذا المصطلح، لاسيما من خلال التعرف على أغراضه البلاغية التي تم سوقه من أجلها، والتي دارت حول التنبيه والتفخيم، والتفصيل والإيجاز... وغير ذلك.

الكلمات المفتاحية: اللف والنشر، التفسير والتبيين، المدونة التراثية، المحسن المعنوي، صحة التفسير.

Abstract:

A number of studies have been based on considering the Holy Qur'an as its abundant material from which it derives the strength of its subject matter, as well as Arabic poetry and heritage in its various texts. - Relatively - in terms of its frequency in the Arab heritage, such as analogy, metaphor, metaphor, metaphor sent ... and other investigations of the science of eloquence, precedence, delay and shortness ... and other investigations of the science of meanings, anaphora, counterpoint, inlay ... and other investigations of the science of the wonderful, except This research is based on a statement of a less well-known term in terms of its comparison with the rest of the rhetorical investigations in the three sciences of rhetoric. Al-Ma'ani, Al-Bayan, and Al-Badi', which is a term (wrapping and

publishing), which is one of the intangible improvements, as the research dealt with this term in general in the Arab heritage code and its surroundings, and it included within it the vocabulary that revolved around it in the Arab heritage (correctness of interpretation- clarification- clarification...), as well as identifying the value of wrapping and publishing and what was stated in the Holy Qur'an and the beautiful Arabic poetry of models for this term or its corresponding terms, in terms of employment, which reveals the value of this term, especially by identifying its rhetorical purposes for which it was marketed, and which revolved About warning and amplification, detailing and brevity... and so on.

Keywords: Alafi wal Nashr, interpretation and clarification, heritage blog, moral enhancer, validity of interpretation.

مقدمة:

بسم الله الجميل محب الجمال، والحمد لله الذي أنزل الكتاب متناسبًا بالبيان، متشابهةً فواصله وغاياته ولم ينقصه التمام، وصلاة وسلامًا طيبين مباركين على أفضل خلق الله نبي الأمة خير الآنام، صاحب الرسالة الفضلى التي لا يشوبها نقص والمنزهة عن كل اتهام، وبعد:

فإن القرآن الكريم عظيم في بلاغته مالكًا لمقومات الفصاحة، حاويًا لأسرار البلاغة، لم يترك شاردة ولا واردة إلا أحصاها وفن اللف والنشر من البديعيات المعنوية، وفي آلية البحث في القرآن الكريم فقد قسم المفسرون- بحكم الممارسة- آليات معرفة إعجاز القرآن إلى آليتين؛ الأولى البحث في القرن الكريم من ناحية تركيب الجملة حيث النحو والصرف، والثانية هي البحث من ناحية دقائق المعنى وقوة الدلالة وذلك من خلال علم البلاغة[1].

ومن هنا فإن معرفة الفنون البلاغية وتتبعها داخل القرآن الكريم هي وجه من وجوه معرفة إعجاز القرآن وإثباته، ولمَّا كان اللف

[1]- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م، ص ٥.

والنشر من المحسنات البديعية المعنوية فإن تتبعه في قصص الأنبياء في القرآن الكريم- وعند أولي العزم خاصة- من الأمور التي تثبت إعجاز القرآن من ناحية الترتيب، كما تثبت قدرة القرآن العظيم على مراعاة المتلقي الذي يخاطبه بذلك المحسن المعنوي حرصا على إفهامه.

واللف والنشر مبحث جليل وقف عليه العلماء منذ قديم التصنيف، بأكثر من مصطلح وفي أكثر من صورة وتقسيم، لما فيه من قيمة عظيمة وشواهد جليلة في القرآن الكريم والآثار العربية، ومن هنا يقوم هذا البحث على بيان مبحث اللف والنشر من حيث الوقوف على المصطلح وتحريره، وبيان قيمته المتعارف عليها لدى القدماء والمحدثين من خلال تقديم الشواهد والنماذج الدالة على ذلك في القرآن الكريم.

أهمية الدراسة:

إن أية دراسة تخصصية في البلاغة العربية ومادتها القرآن الكريم تحمل أهمية تقديسية وتشريفة إلى جانب بعض النقاط النظرية والتطبيقية الأخرى، وأهمها:

١- كون اللف والنشر من المباحث البلاغية التي تكشف عن الإعجاز اللغوي والبلاغي وعناية السياق البلاغي بحال المتلقي، وتلقيه الخطاب دون كلل.

٢- كما أن اللف والنشر تعرض له جل المفسرين في حالة تناولهم لتأويل آيات القرآن الكريم، مما جعل منه مصطلحًا تفسيريًا بلاغيًا دلاليًا.

٣- قلة الدراسات التي تناولت مصطلح (اللف والنشر) من حيث القيمة التراثية ومقابلته المصطلحات الأخرى.

٤- الرغبة في إثبات قيمة هذا المصطلح، وعدم حكره في تحسين وجوه النص فحسب، وإنما التنويه وكشف اللثام عن قيمته الدلالية.

أهداف البحث:

لقد حاول هذا البحث تحقيق عدد من الأهداف، منها:

١- بيان قيمة محسن اللف والنشر بوصفه مصطلحًا تراثيًا تفرق بين العديد من العلوم التراثية.

٢- إظهار القيمة الإعجازية لهذا المحسن من خلال تحليل بعض الشواهد القرآنية والعلمية،

٣- بيان اهتمام علماء التراث بهذا المحسن ولكن من خلال توظيف مضمونه دون الإجماع على مصطلح واحد.

٤- بيان العلاقة بين المصطلح والفن الذي يناقش هذا المصطلح.

خطة البحث:

لقد اقتضت طبيعة البحث أن ينتظم في مقدمة ومبحثين، ناقش المبحث الأول مصطلح (اللف والنشر) ومقابلاته الاصطلاحية في كتب التراث من بلاغة وتفسير وإعجاز، وتم عرض آراء العلماء وتعريفاتهم وفق ترتيب زمني من الأقدم إلى الأحدث، وذكر مناطق التماثل والاختلاف بين هذه المصطلحات.

والمبحث الثاني: تناول الصورة التطبيقية لهذا المحسن في القرآن الكريم

وجميل الشعر العربي، مع تحليل هذه النماذج.

والخاتمة: اشتملت على أبرز النتائج وخلاصات البحث.

المبحث الأول: مصطلح اللف والنشر في المدونة التراثية العربية وما حوله.

إن اللف والنشر بصورة مبسطة- حسب استقراء الباحثة- هو ذكر متعدد على جهالة التفصيل أو الإجمال، ثم ذكر ما لكل واحد من تفسيرات وصفات وخصائص، وهو مبحث من مباحث علم البديع المعنوية، وقد بحث فيه العلماء من حيث خدمته لفكرة الإعجاز، فقد "عرف المفسرون أن معرفة إعجاز القرآن من جانب الجملة طريقتان. الأولى معرفة الجملة من ناحية التركيب وهو البحث من ناحية علم النحو والصرف والثانية معرفة الجملة من ناحية الترتيب، وهو البحث من ناحية علم البلاغة. فمعرفة مناسبة اللف والنشر في القرآن الكريم من أهمية الأمور لنظر إعجاز القرآن من ناحية الترتيب"[٢]

فهي تبحث في تلك الآلية التي انتظم بها القرآن الكريم بوصفه خطابًا موجهًا للمؤمنين وغير المؤمنين عليهم قبوله والاقتناع به، فيأتي اللف والنشر بمثابة وسيلة من الوسائل الأسلوبية التي تفصل ذلك الخطاب وتعرضه بسلاسة وإفهام، وقد تعددت تعريفات هذا المحسن عند القدماء من حيث تعاملهم معه بوصفه خصيصة جمالية من خصائص القرآن والشعر العربية وآثار العربية، ووفقًا لذلك نرى

(٢)- اللف والنشر في سورة الشمس والليل والضحى والانشراح- دراسة عن المحسنات المعنوية، محمد حفيضة، بحث منشور بمجلة نيدهمول هاق، العدد الثاني، المجلد الأول، مارس ٢٠١٧م، ص ٢.

تعدد مصطلحاتهم في التعبير عنه ما بين اللف والنشر، الطي والنشر، والتفسير، والتبيين، واللف والتفسير... إلخ.

وسوف نقوم بتتبع هذا المصطلح (اللف والنشر) وما يقابله من مصطلحات في مدونة التراث العربي، لاسيما كتب البلاغة القديمة والإعجاز وكتب تفسير القرآن.

إن مصطلح (اللف والنشر) يعتبر هو المصطلح الأشهر من بين المصطلحات التي تناولت هذا المحسن البديعي، إلا أن ذلك لا ينفي وجود مصطلحات أخرى تناولت هذا المبحث البديعي مثل مصطلح (صحة التفسير- التفسير والتبيين... إلخ)، وسوف يعرض البحث لمقولات هؤلاء العلماء في هذه المصطلحات وفق الترتيب الزمني من الأقدم إلى الأحدث.

يعتبر المبرد (ت ٢٨٥هـ) في صدارة العلماء الذين قاموا بتعريف اللف والنشر مضمنًا التعريف كلمة (لفّ)، دون إطلاق (النشر) وذلك حين قال: "والعرب تلف الخبرين المختلفين ثم ترمي بتفسيرهما جملة، ثقة بأن السامع يرد إلى كل خبره، قال الله عز وجل: (وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (القصص: [٧٣])"[٣]

فقد أدرك المبرد ما في هذه القيمة من لف، لكن دون تعويل على النشر بمصطلحه وإنما فصل مضمونه.

- **صحة التفسير:**

مصطلح (صحة التفسير) من المصطلحات المقابلة لمصطلح اللف والنشر بمعناه البلاغي، فقد عرفه العلماء بالمضمون الذي عرف به مبحث اللف والنشر، ومنهم أبو جعفر النحاس (ت ٣٢٨ه) الذي وقف عليه بصورة تطبيقية حين وضح المراد من تركيب ما وأطلق على ذلك (التفسير) فقال: و"كما قال بعضهم: وأنا واثقٌ بمسالستك في حالٍ مثل ما أعلمه من مشارستك في أخرى، ثم فسر ذلك فقال: لأنك إن عطفت وجدت لدناً وإن غمزت ألفيت شثناً. ولبعضهم: قد أنكرت نفسي لنومي في البلاء ويقظتي في الخلاء، وأنسى الحديث وأذكر القديم. ولبعضهم: من صنف كتاباً فقد استشرف بالمدح والذم، لأنه إن أحسن فقد استهدف للحسد، وإن أساء فقد تعرض للذم. ولبعض البلغاء: وأين يذهب بك عزيز أنعامك، وسديد أحكامك، وأليم انتقامك، أن تكون مشباعاً للضيف، ومدفاعاً للحيف، وممناعاً من الخوف، وقال أبو علي البصير –وهو أحد

[٣]- الكامل في اللغة والأدب، المبرد، مؤسسة المعارف، بيروت، د. ط، د. ت، ١/ ٧٥.

البلغاء- لبعض الطالبيين وقد شتمه: إنا والله ما نعيا عن مساءتك؛ ثم فسر: ولكنا نكون خيراً لنسبك منك، ونحفظ منه ما ضيعت، فاشكر توقيرنا منك، ولا يغرنك بالجهل علينا حلمنا عنك"[٤].

وهناك من عبر عن اللف والنشر بـ(**صحة التفسير**) ولكن قصد به مبحثًا دلاليًا من مباحث المعاني لا البديع، ومنهم قدامة بن جعفر (ت ٣٣٧ه): "ومن أنواع المعاني صحة التفسير... وهي أن يضع الشاعر معاني يريد أن يذكر أحوالها في شعره الذي يصنعه، فإذا ذكرها أتى بها من غير أن يخالف معنى ما أتى به منها، ولا يزيد أو ينقص، مثل قول الفرزدق:

لقدْ خنتُ قوْماً لو لجأتَ إليهمُ ... طريدَ دمٍ أو حامِلاً ثقلَ مغرمِ

فلما كان هذا البيت محتاجًا إلى تفسير، قال:

لألفيتَ فيهمْ مطعِماً ومطاعِناً ... وراءَك شزْراً بالوشيجِ المقوّمِ

ففسر قوله: حاملاً ثقل مغرم: بأنه يلقى فيهم من يعطيه، وفسر قوله: طريد دم بقوله: إنه يلقي من يطاعن دونه ويحميه ومثل قول الحسين بن مطير الأسدي:

فلهُ بلا حزنٍ ولا بمسرةٍ ... ضحكٌ يراوحُ بينهُ وبكاءُ

ففسر بلا حزن: ببكاء ولا بمسرة: بضحك، وقال صالح ابن جناح اللخمي:

لئن كنتُ مُحتاجاً إلى الحلمِ إنَّني ... إلى الجهلِ في بعض الأحايينِ أحوجُ

وفسر ذلك بأن قال:

ولي فرسٌ للحلمِ بالحلمِ ملجمٌ ... ولي فرسٌ للجهلِ بالجهْلِ مسرجُ

فلم يزد المعنى ولا نقص منه، ثم فسر البيت الثاني أيضاً، فقال:

فمنْ رام تقويمي فإنِّي مقومٌ ... ومن رام تعويجي فإنِّي معوجُ

وقال سهل بن هارون:

فواحسرتَا حتَّى متى القلبُ موجعٌ ... بفقدِ حبيبٍ أو تعذرِ إفضالِ

وفسر ذلك فقال:

فراقُ خليلٍ مثله يورثُ الأسَى ... وخلةُ حرٍّ لا يقومُ بها مالِي"[٥]

---

[٤]- عمدة الكتاب، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، (المتوفى: ٣٣٨هـ) تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، الجفان والجابي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ١/ ٢٩٧- ٢٩٨.

[٥]- نقد الشعر، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (المتوفى: ٣٣٧هـ)، مطبعة الجوائب- قسطنطينية، الطبعة الأولى، ١٣٠٢هـ، ص ٤٨- ٤٩.

ومن خلال هذه النماذج يتضح المراد من صحة التفسير، وهو الغرض الدلالي البلاغي، حيث قيل إن المقصود من صحة التفسير حسبما ذهب أبو هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ) "أن يورد معاني فيحتاج إلى شرح أحوالها، فإذا شرحت تأتى فى الشرح بتلك المعاني من غير عدول عنها أو زيادة تزاد فيها، كقول الله تعالى: وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ، فجعل السكون لليل، وابتغاء الفضل للنهار؛ فهو فى غاية الحسن، ونهاية التمام. ومن النثر ما كتب بعضهم: إن لله عز وجل نعما لو تعاون خلقه على شكر واحدة منها لأفنوا أعمارهم قبل قضاء الحقّ فيها، ولى ذنوب لو فرّقت بين خلقه جميعا لكان كلّ واحد منهم عظيم الثقل منها؛ ولكنه يستر بكرمه، ويعود بفضله، ويؤخر العقوبة انتظارا للمراجعة من عبده، ولا يخلى المطيع والعاصى من إحسانه وبرّه. فذكر جملتين؛ وهما نعم الله تعالى وذنوب عبده، ثم فسركل واحدة منهما مرتين تفسيرا صحيحا. قوله: «يستر بكرمه» راجع إلى الذنوب، وقوله: «يعود بفضله» راجع إلى النعم، فاستوفى. ثم قال: «ويؤخر العقوبة» فهذا أيضا راجع إلى الذنوب، وقوله: «ولا يخلي المطيع والعاصي من إحسانه وبره» راجع إلى النّعم، فهو تفسير صحيح فى تفسير صحيح"[٦].

فأبو هلال العسكري هنا تعامل مع ما أسماه (التفسير) كما تعامل البلاغيون مع (اللف والنشر) حيث رد كل طرف إلى ما يقابله ضمنيًا، ومن نماذج ذلك "قول بعض أهل الزمان وقد كتب إليه بعض الأشراف كتابا وسأله أن يصلح ما يجد فيه من سقم؛ فكتب إليه: فأمّا ما رسمه من سدّ ثلمه، وجبر كسره، ولمّ شعثه؛ فأىّ ثلم يوجد فى أديم السماء؛ وأىّ كسر يلفى فى حاجب ذكاء؛ وأىّ شعث يرى فى الزّهرة الزهراء! ففسر الثلاثة، ولم يغادر منها واحدًا.

ومثاله من المنظوم قول الفرزدق:

لقد جئت قوما لو لجأت إليهم ... طريد دم أو حاملا ثقل مغرم
لألفيت فيهم معطيا أو مطاعنا ... وراءك شزرا بالوشيج المقوّم

---

[٦]- الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية – بيروت، ١٤١٩ هـ، ص ٣٤٥- ٣٤٦.

ففسر قوله: «حاملا ثقل مغرم»، بقوله: «تلقى فيهم من يعطيك» وقوله: «طريد دم» بقوله: «تلقى فيهم من يطاعن دونك».

وقال ابن مطير فى السحاب:

وله بلا حزن ولا بمسرّة ... ضحك يراوح بينه وبكاء

وقول المقنّع:

لا تضجرنّ ولا يدخلك معجزة ... فالنّجح يهلك بين العجز والضّجر

وضرب منه قول صالح بن جناح اللخمي:

لئن كنت محتاجا إلى الحلم إنّنى ... إلى الجهل فى بعض الأحايين أحوج
ولى فرس للحلم بالحلم ملجم ... ولى فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن رام تقويمى فإنى مقوّم ... ومن رام تعويجى فإنى معوّج

وقول سهل بن هرون: **فوا حسرتا حتّى متى القلب موجع ... بفقد حبيب أو تعذّر إفضال**
فراق حبيب مثله يورث الأسى ... وخلة حر لا يقوم لها مالي

وقال آخر: **شبه الغيث فيه والليث والبد ... ر فسمح ومحرب وجميل**

وقلت: **كيف أسلو وأنت حقف وغصن ... وغزال لحظا وردفا وقدّا**

وقال آخر: **فألقت قناعا دونه الشمس واتقت ... بأحسن موصولين كفّ ومعصم"**[٧]

فالنماذج التي أوردها العسكري كلها تتضمن اللف والنشر بالصورة المتعارف عليها لدى البلاغيين ولكن تحت مصطلح (التفسير/ صحة التفسير).

ومن الذين وقفوا على هذا المضمون تحت مصطلح (صحة التفسير) كان ابن رشيق القيرواني (ت ٤٦٣ هـ) الذي ذهب إلى أن التفسير لا يحدث إلا على مستوى البيتين فأكثر، وذلك منطقي لأنه يرى أن هذا الرد بيان وتوضيح وتفسير فلا يكون البيت واحد مفسرًا لبعضه البعض، وإنما يحدث الغموض في بيت ويأتي البيت أو البيتين أو الأكثر من ذلك مفسرين له، سواء كان تفسيرًا أو تفصيلًا، فقد قال إن التفسير هو: "أن يستوفي الشاعر شرح ما ابتدأ به مجملا، وقل ما

[٧]- الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية – بيروت، ١٤١٩ هـ، ص ٣٤٥- ٣٤٦.

يجيء هذا إلا في أكثر من بيت واحد، نحو قول الفرزدق واختاره قدامة:

لقد جئت قوماً لو لجأت إليهم ... طريد دم أو حاملاً ثقل مغرم
لألفيت منهم معطياً ومطاعناً ... وراء شزراً بالوشيج المقوم

هذا جيد في معناه، إلا أنه غريب مريب؛ لأنه فسر الآخر أولاً والأول آخراً؛ فجاء فيه بعض التقصير والإشكال، على أن من العلماء من يرى أن رد الأقرب على الأقرب والأبعد على الأبعد أصح في الكلام.

وأكثر ما في التفسير عندي السلامة من سوء التضمين لا أنه بعينه ما لم يكن في بيت واحد أو شبيه به كالذي أنشده سيبويه:

خوى على مستويات خمس ... كركرة وثفنات ملس

لأن هذا كالبيت المصرع فهو بيتان من مشطور الرجز ومن التفسير الجيد قول حاتم الطائي، ويروي لعتيبة بن مرداس:

متى ما يجئ يوماً إلى المال وارثي ... يجد جمع كف غير ملأى ولا صفر
يجد فرساً مثل العنان وصارماً ... حساماً إذا ما هز لم يرض بالهبر
وأسمر خطياً كأن كعوبة ... نوى القسب قد أربى ذراعاً على العشر

فهذا هو التفسير الصحيح السالم من ضرورة التضمين؛ لأنه لم يعلق كلامه بلو كما فعل الفرزدق، ولا بما يقتضي الجواب اقتضاء كلياً؛ فلهذا حسن عندي..."[٨]

وممن تناوله كذلك ابن سنان (ت ٤٦٦ هـ) في سر فصاحته، حيث جعله من التناسب البلاغي[٩].

اللف والنشر:

وهذا المصطلح هو أشهر مصطلحاته، وهو الذي تعارف عليه علماء اللغة والبلاغة وأقاموا فيه تقسيمهم وتصنيفهم البديعي، واللف والنشر في تعريف السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) "أن تلف بين شيئين في الذكر ثم تتبعهما كلاما مشتملا على متعلق بواحد وبآخر من غير

---

[٨]- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م، ٢/ ٣٥.

[٩]- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح وأولاده، د. ط، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م، ص ١٨٣- ١٨٤.

تعيين ثقة بأن السامع يرد كلا منهما على ما هو له كقوله عز وعلا "ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله"[١٠]

ومن العلماء الذين وقفوا على ترتيب التفسير كان ابن الأثير (ت ٦٣٧ هـ)، وفي ذلك اشتمال ضمني على أقسام اللف والنشر كذلك، حيث قيل "اعلم أن صحة الترتيب في ذلك أن يذكر في الكلام معان مختلفة، فإذا عيد إليها بالذكر لتفسر قدم المقدم وأخر المؤخر، وهو الأحسن، إلا أنه قد ورد في القرآن الكريم وغيره من الكلام الفصيح ولم يراع فيه تقديم المقدم ولا تأخير المؤخر؛ كقوله تعالى: أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء إن في ذلك لآية لكل عبد منيب، ولو قدم تفسير المقدم في هذه الآية وأخر تفسير المؤخر لقيل:

(إن يشأ يسقط عليهم كسفا من السماء أو يخسف بهم الأرض).

وكذلك ورد قوله تعالى: **(يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون. وأما الذين ابيضت وجوههم)**

فقدم المؤخر وأخر المقدم، والقسمان قد وردا جميعا في القرآن الكريم: فمما روعي فيه تقديم المقدم وتأخير المؤخر قوله تعالى: وما نؤخره إلا لأجل معدود. يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد. فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق. خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد. وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ. ومن ذلك قوله تعالى: **(وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة).**

وكذلك قوله تعالى: **(ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه لتبتغوا من فضله)**، فلما قدم الليل في الذكر على النهار قدم سبب الليل، وهو السكون، على سبب النهار، وهو التعيش."[١١].

---

[١٠]- مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت: ٦٢٦ هـ)، تعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م، ١/ ٤٢٥.

ومن المصطلحات التي دارت حول هذه الظاهرة البلاغية كذلك مصطلح (صحة التفسير والتبين).

٣- صحة التفسير والتبيين:

ونجد التعريف هو مضمون اللف والنشر نفسه، إلا أن بعض العلماء قصره على الشعر، فعرف بأنه ومنهم أبي الإصبع العدواني (ت ٦٥٤ه) "أن يأتي المتكلم في أول الكلام، أو الشاعر في بيت من الشعر بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه دون أن يفسر، إما في البيت الآخر، أو في بقية البيت إن كان الكلام الذي يحتاج إلى التفسير في أوله. ووقوع التفسير من الكلام على أنحاء: بعد الشرط، وما هو في معناه، وبعد الجار والمجرور، وبعد المبتدإ الذي التفسير خبره. فمثال ما وقع منه بعد الحروف المتضمنة معنى الشرط قول الفرزدق طويل:

لقد جئت قوماً لو لجأت إليهم ... طريد دم أو حاملاً ثقل مغرم
لألفيت منهم معطياً ومطاعناً ... وراءك شزراً بالوشيج المقوم

ومثال ما جاء بعد الجار والمجرور قول الحسين بن مطير الأسدي كامل:

وله بلا حزن ولا بمسرة ... ضحك يواصل بينه وبكاء"[١٢]

و"كلا الرجلين - أعني الفرزدق وابن مطير - لم يراعيا الترتيب، وإن كان عدم الترتيب مع حسن الجوار وقرب الملائم لا ينقص به حسن الكلام البليغ، بل هو عندي نوع من صحة التفسير، ألا ترى إلى قوله تعالى: " يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، فأما الذين اسودت وجوههم " ثم قال بعد ذلك: "وأما الذين ابيضت وجوههم "

ومثل ذلك قول الله تعالى: " بسم الله الرحمن الرحيم " فإنه لما قدم ذكر الأبلغ على ما دونه - وطريق البلاغة الترقي - نعلم من هذا

---

[١١]- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: ٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر- بيروت، ١٤٢٠هـ، ص ٢٩٣.

[١٢]- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (المتوفى: ٦٥٤هـ)، تحقيق: د. حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، د. ط، د. ت، ص ١٨٥.

الترتيب أن توخي الملاءمة، وحسن الجوار أولى من حسن الترتيب، إذ كان اسم الله تعالى يختص به دون بقية أسماءه، وكان الرحمن وصفاً مختصاً به دون بقية صفاته، فأتبع الأخص بالأخص، ولتوخي الملاءمة ومراعاة حسن الجوار عدل عن الإيضاح، وتعمد التقديم والتأخير الذي هو أحد الوجوه الثلاثة التي يحصل بها الإشكال، فإن التنزيل لو كان في آية الطهارة، "فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا برؤسكم " لم تختلف العلماء في المسح والغسل، لكن القصد إلى نظم الكلام على الوجه الأحسن من مجاورة الملائم بالملائم ليكون لفظ الكلام مؤتلفاً مع معناه، عدل عن ذلك الترتيب إلى التقديم والتأخير، لأن كل من وصف وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضوء أصحابه والتابعين لهم بإحسان لم يرو أن أحداً منهم غسل رجليه قبل مسح رأسه"[١٣].

وقد ربط العداوني بين النصوص والتفسير بوصفه آلية تأويلية وليس محسنًا بديعيًا، ودليل ذلك وقوفه على تفسير آية الوضوء، حين قال: "إذا علم أن مسح الرأس مقدم على غسل الرجلين علم الواجب غسل الرجل من حيث إنه سبحانه قدم ذكر مسح الرأس، ليعلمنا ترتيب غسل الأعضاء في الوضوء كما كانت في الغسل، فإن الغسل يختم فيه بغسل الرجلين، ولما أخر ذكر الرجلين أتى بالتحديد ليعلم أن الأمر فيهما معطوف على الأعضاء المغسولة، لا على العضو الممسوح، فإن المسح لم تضرب له غاية احتراساً ممن يظن أن الرجل ممسوحة، ولعربية الشافعي ومعرفته بكنه بلاغة العرب أوجب الترتيب في الوضوء، لكون الآية جاءت مرتبة للأعضاء، ولم يحفل بالتقديم والتأخير، وإن أوجب لبساً اتكالاً على ما في التحديد من دفع ذلك اللبس. وما سمعت ولا غيري بمستمع كقول الله سبحانه وتعالى: " سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون " فإن صحة التقسيم اندرجت في صحة المحاسن، ولقد أحسن ابن شرف القيرواني في التفسير الواقع بعد الجار والمجرور حيث قال (الطويل):

لمختلفي الحاجات جمع ببابه ... فهذا له فن وهذا له فن
فللخامل العليا وللمعدم الغنى ... وللمذنب العتبى وللخائف الأمن

[١٣]- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ص ١٨٦.

ومن أناشيد قدامة فيما جاء من التفسير بعد الحروف المتضمنة معنى الشرط قول صالح بن جناح اللخمي (الطويل):

لئن كنت محتاجاً إلى الحلم إنني ... إلى الجهل في بعض الأحايين أحوج

ثم فطن الشاعر إلى أنه أجمل في قوله: وإن كنت محتاجاً إلى الحلم، فإنني في بعض الأوقات إلى الجهل أحوج، ولم يبين كونه إذا احتاج إلى الجهل واضطر له هل يقدر على أن يجهل؟ فقال في البيت الثاني (الطويل):

ولي فرس للحلم بالحلم ملجم ... ولي فرس للجهل بالجهل مسرج

فبين أن عنده حلم لمن يعامله بالحلم، وجهل لمن يعامله بالجهل، وهذا بسط قول عمرو بن كلثوم وافر:

ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

لكن بيت ابن جناح أمشى على سنن العدل من بيت ابن كلثوم لاستضاءته"[١٤]

وفي غير موضع وقف المصنف على آية أخرى وعقب عليها بما يثبت أن ذلك التعامل التأويلي من باب التفسير وبيان الإعجاز، والإدراك البلاغي فقال بعد أن عرض لها: "واندمج الترتيب والتهذيب في صحة التقسيم، وحصل الائتلاف من حصول الترتيب، إذ قدم سبحانه النبات، وثنى بأشرف الحيوان، فكان غيره من الحيوان بطريق أولى، ثم ثلث بقوله: " ومما لا يعلمون " فاندرج تحت هذا العموم كل ما اختص الله بعلمه من المولدات الثلاث، بل من جميع المخلوقات من كل موجود سوى الله، فحصل الترقي على سنن الفصاحة، والمشي على نهج البلاغة وأتت الفاصلة في غاية التمكين، فالآية الكريمة لذلك تصلح أن تكون شاهداً للتفسير، والتقسيم، والتهذيب، والائتلاف، والتمكين، وإنما خصصت بها باب التفسير، لأنه أول مذكور فيها"[١٥]

وهو المعنى نفسه الذي تضمنه مصطلح الطي والنشر، باعتبار العملية واحدة- اللف/ الطي والنشر- وهو المتعارف عليه بين أهل اللغة والبلاغة، ويقول ابن حجة الحموي (٨٣٧هـ) في ذلك:

وقد قال في "بيت عز الدين الموصلي:

نشرٌ ويسر وبشر من شذا وندى ... وأوجه فتعرف طي نشرهم

---

[١٤]- تحرير التحبير، ص ١٨٦.

[١٥]- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ص ١٨٧.

قولـه: فتعـرف طـي نشـرهم، ولـيس لـه نـص فـي اللـف لأنـه نـص فيـه علـى ثلاثـة، وعجـز عـن ترتيـب اللـف والنشـر فـي نـص اللـف، وعلـى كـل تقـدير، فـلا بـد لـه مـن تسـمية النـوع فسـماه، ولكـن أتـى بـه فضـلة، ولـو التـزم الشـيخ صـفي الـدين أن يسـمي هـذا النـوع البـديعي فـي بيتـه، لتجافت عليه تلك الرقة.

فالطيّ والنشر والتغيير مع قصر ... للظهر والعظم والأحوال والهمم

فـالطي والنشـر، فـي نصـف اللـف، قبالـة الظهـر والعظـم، والتغييـر مـع القصـر قبالـة الأحـوال والهمـم، هـذا مـع زيـادة العـدة علـى الشـيخ عـز الـدين، وعـدم التكلـف ولـولا الالتـزام بتسـمية النـوع ومراعـاة السـهولة والانسجام، وصلت إلى أكثر من هذه العدة"[١٦].

وإلـى جانـب هـذا المضـمون وتحديـد المصـطلح الـذي وقـف عليـه الحمـوي نجـده يقـوم ببيـان بعـض أقسـامه مـن خـلال النمـاذج الشـعرية التـي سـاقها، وقـد تحـدث عنـه بالمصـطلحين (الطـي واللـف والنشـر)... وهو في ذلك يقول:

"والطي والنشر والتغيير مع قصر ... للظهر والعظم والأحوال والهمم

الطـي والنشـر هـو أن تـذكر شـيئين فصـاعدًا، إمـا تفصـيلًا فتـنص علـى كـل واحـد منهمـا، وإمـا إجمـالًا فتـأتي بلفـظ واحـد يشـتمل علـى متعـدد، وتفـوض إلـى العقـل ردّ كـل واحـد إلـى مـا يليـق بـه، لا أنـك تحتـاج أن تنصـل علـى ذلـك ثـم إن المـذكور علـى التفصـيل قسـمان: قسـم يرجـع إلـى المـذكور، بعـده علـى التريـب مـن غيـر الأضـداد، لتخـرج المقابلـة، فيكـون الأول لـلأول، والثـاني للثـاني، وهـذا هـو الأكثـر فـي اللفـظ والنشـر والأشـهر، وقسـم علـى العكـس، وهـو الـذي لا يشـترط فيـه الترتيـب، ثقـة بأن السامع يرد كل شيء إلى موضعه، تقدم أو تأخر.

أمـا المـذكور علـى الإجمـال فهـو قسـم واحـد، لا يتبـين فـي ترتيـب، ولا يمكـن عكسـه، ومثلـه أن يقـول: لـي منـه ثلاثـة: بـدر وغصـين وظبـي. فحصـل مـن هـذا أن اللـف والنشـر علـى ثلاثـة أقسـام، وإذا كـان المفصـل المرتـب فـي اللـف والنشـر هـو المقـدم، نبـدأ بشـواهده. فمنـه بـين شـيئين قولـه تعـالى: {**وَمِـنْ رَحْمَتِـهِ جَعَـلَ لَكُـمُ اللَّيْـلَ وَالنَّهَـارَ لِتَسْـكُنُوا فِيـهِ**

[١٦]- خزانـة الأدب وغايـة الأرب، ابـن حجـة الحمـوي، تقـي الـدين أبـو بكـر بـن علـي بـن عبـد الله الحمـوي الأزراري (المتـوفى: ٨٣٧هـ)، تحقيـق: عصـام شـقيو، دار ومكتبـة الهـلال- بيـروت، دار البحـار- بيـروت، ٢٠٠٤م، ١/ ١٥٥.

وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ} فالسكون راجع إلى الليل، والابتغاء راجع إلى النهار"[١٧].

واللف والنشر بهذه الصورة التي أوردها الحموي كثير الورود والتوظيف في شعر الشعراء باعتباره من مصادر العرب المعتمدة، ومن ذلك "قول الشاعر:

ألست أنت الذي من ورد نعمته ... وورد راحته أجني وأغترف

وقد جمع هذا البيت، مع حشمة الألفاظ، بين جناس التحريف والاستعارة واللف والنشر. وما ألطف قول شمس الدين محمد بن دانيال الحكيم:

ما عاينت عيناي في عطلتي ... أقل من حظي ومن بختي
قد بعت عبدي وحماري وقد ... أصبحت لا فوقي ولا تحتي

ومن غراميات البهاء زهير:

ولي فيك قلب بالغرام مقيد ... له خبر يرويه طرفي مطلقًا
ومن فرط وجدي في لماه وثغره ... أعلل قلبي بالعذيب وبالنقا

ومثله قوله: **يا ردفه يا خصره ... من لي بنجد أو تهامه**

ومثله قول ابن نباتة:

له قلب ولي دمع عليه ... فهذا قاسيون وذا يزيد

ومثله قوله مع زيادة التورية: **لا تخف عيلة ولا تخش فقرًا ... يا كثير المحاسن المختاله**

لك عين وقامة في البرايا ... تلك غزالة وذِي فتاله

... ولابن جابر ناظم البديعية، بين ستة وستة:

إن شئت ظبيًا أو هلالًا أو دجى ... أو زهر غصن في الكثيب الأملد
فللحظها ولوجهها ولشعرها ... ولخدها والقد والردف أقصد

صبرنا على الأملد صفة الكثيب، ولكن لم نصبر على دخول القصد، فغنها زيادة أجنبية [١٨].

وقد وقف الحموي على تحليل هذا البيت الأخير بذكر ما فيه من أطراف اللف والنشر ومردودها، وكذلك التعويل على أنواعها، ومناقشة دلالته وبلاغته داخل النماذج، فقال في ذلك : "قال شهاب الدين المذكور، في شرح بديعية صاحبه ابن جابر: إن اللف والنشر، في هذين البيتين، غير كامل التفصيل. لأنه نص في اللف على ستة، ونص في النشر على سبعة، وكل منهما راجع إلى منصوص عليه

---

[١٧]- خزنة الأدب، ١/ ١٤٩.

[١٨]- خزانة الأدب، ابن حجة الحموي، ١/ ١٤٩- ١٥٢.

في اللف، إلا الأهلة فإنه راجع إلى الأشطار، وهي غير مذكورة في اللف. قلت: هذا يفهم من قوله: يقطع. قال الشيخ شهاب الدين: قوله: ضحى، في بيت اللف، مطرح لا نظير له في النشر. قلت: ضحى، ليس لها في الحسن نظير، فإنه جعل البطيخة شمسًا، وهي أنور من قول صاحبه في بيته: أملد، وأقصد، فإنه لم ينص عليهما في اللف وهم أجنبيان مما نحن فيه. ووصلوا في الجمع بين اللف والنشر المفصل المرتب، إلى اثني عشر. لكن تكلفوا وتعسوا وأتوا به في بيتين، ولم تسفر لهم وجوه المعاني المسفرة عن بهجة. ولابن بلدتنا الشيخ علاء الدين بن مقاتل، مالك أزمة الزجل، وقد تقدم ذكره في أوردته له من أزجاله على الجناس المقلوب واللفظي، الجمع في اللف والنشر، بين ثمانية وثمانية، مع عدم الحشو والفرار من التعسف وصحة الانسجام.

خدود وأصداغ وقد ومقلة ... وثغر وأرياق ولحن ومعرب
فورد وسوسان وبان ونرجس ... وكاس وجريال وجنك ومطرب

ومما سمعت، في هذا النوع، وفيه الجمع بين عشرة وعشرة، قول بعضهم:

شعر جنين محيًّا معطف كفل ... صدغ فم وجنات ناظر ثغر
ليل صباح هلال بانة ونقا ... آس أقاح شقيق نرجس در

وجل القصد، هنا أن يكون اللف والنشر في بيت واحد خاليًا من الحشو وعقادة التركيب، جامعًا بين سهولة اللفظ والمعاني المخترعة، انتهى الكلام على اللف والنشر المفصل المرتب.

وأما القسم الذي هو العكس، أعني غير المرتب، فكقول الشاعر:

كيف أسلو وأنت حقف وغصن ... وغزال لحظًا وقد وردفا

فعدم الترتيب ظاهر في البيت، وأما القسم المذكور على الإجمال، فهو قسم واحد يتبين فيه ترتيب ولا عكس، كما تقدم، ومثله قول ابن سكرة في بيت الكافات الشتائية:

جاء الشتاء وعندي من حوائجه ... سبع إذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كن وكيس وكانون وكاس طلا ... مع الكباب وكس نعام وكسا

وظريف هنا قول من قال:

جاء الصفاع وعندي ما حوائجه ... سبع إذا الصفع في ميدانه وقفا
نطع وطرق وزريوك وغاشية ... وركوة وجراب ناعم وقفا

ففي قوله، بعد ما ذكره من آلات الصفع: وقفا. غاية في اللطف وقوة في تمكين القافية. انتهى الكلام على اللف والنشر المفصل المرتب وعلى غيره.

وأما أصحاب البديعيات فإنهم ما نظموا إلا المفصل المرتب، لأنه المقدم عند علماء البديع في هذا الباب، ولم يأتوا به إلا في بيت واحد، بحيث يكون مثالًا شاهدًا على هذا النوع، وماشيًا على سنن الأبيات المفردة المشتملة على أنواع البديع، وبيت صفي الدين غاية في هذا الباب، لما اشتمل عليه من السهولة والرقة وعدم الحشو، وهو قوله:

وجدي حنيني أنيني فكرتي ولهي ... منهم إليهم عليهم فيهم بهم

والعميان لم يأتوا بهذا النوع إلا في بتين، مع عقادة التركيب. ولقد حبست عنان القلم عن الكلام عليهما، لكونهما من جملة مديح النبي -صلى الله عليه وسلم وهما:

حيث الذي إن بدا في قومه وحبي ... عفاته ورمى الأعداء بالنقم

فالبدر في شبهه والغيث جاد لذي ... محل وليث الشرى قد جال في الغنم..."[١٩].

وهذه النماذج تجعل من صحة التفسير ارتباطًا وثيقًا بالشعر؛ بخلاف اللف والنشر الذي يتم توظيفه في جل النصوص الشعرية والنثرية، وكما وقف المصنف على توظيف صحة التفسير في الشعر، وقف على عدد الأبيات التي يتم فيها توظيفه كذلك، فقال إنه يأتي على مستوى البيت أو الأبيات:

"وذلك ما أتت فيه الجملة بعد الشرح، نحو قول أبي الطبيب:

من مبلغ الأعراب أني بعدها ... جالست رسطاليس والإسكندرا

ومللت بحر عشارها فأضافني ... من ينحر البدر النضار لمن قرى

وسمعت بطليموس دارس كتبه ... متملكاً متبدياً متحضرا

ولقيت كل الفاضلين كأنما ... رد الإله نفوسهم والأعصرا

نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً ... وأتى فذلك إذ أتيت مؤخرا

فقوله نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً وأتى فذلك إذ أتيت تفسير مليح قليل النظير في أشعار الناس... وتعلقت به في بعض مدح السيد أبي الحسن فقلت:

أتى بعد أهل العلى ... كجملة شيء شرح

وقد أتى به أبو الطيب في بيت واحد فقال:

إذا عد الكرام فتلك عجل ... كما الأنواء حين تعد عام

فهذا الذي كنا نرغب فيه لكون المفسر والمفسر به في بيت واحد. ونظيره قوله أيضاً:

مضى وبنوه وانفردت بفضلهم ... وألف إذا ما جمعت واحد فرد

فجاء به أيضاً في بيت واحد. وكذلك قول امرئ القيس:

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة ... كفاني ولم أطلب قليل من المال

ومن قول عمرو بن معد يكرب الزبيدي:

---

[١٩]- خزانة الأدب، ص ١٤٥.

فأرسلنا ربيئتنا فأوفى ... فقال: ألا أولى خمس رتوع
رباعية وقارحها وجحش ... وثالثة وهادية زموع
ففسر ما هي، وأنثها لغلبة التأنيث على اسم الدواب..."[٢٠]

وقد يجيء التفسير على مستوى البيت الواحد كما يأتي على مستوى الأبيات، ومن نماذج ذلك ما ورد "من جيد التفسير في بيت واحد قول أبي الطيب:

فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى ... ويرجى الحيا منه وتخشى الصواعق

فإنه قد أحكمه أشد إحكام، وجاء به أحسن مجيء، حتى أربى على البحتري إذ يقول:

بأروع من طيٍ كأن قميصه ... يزر على الشيخين زيد وحاتم
سماحاً وبأساً كالصواعق والحيا ... إذا اجتمعا في العارض المتراكم

وقد رد الكلام جميعاً آخره على أوله... وأصل هذا المعجز قول الله تعالى: "وهو الذي يريكم البرق خوفًا وطمعًا". وقال أبو الطيب أيضاً في التفسير المستحسن:

إن كوتبوا أو لقوا أو حوربوا وجدوا ... في الخط واللفظ والهيجاء فرسانا

ففسر وقابل كل نوع بما يليق به، من غير تقديم ولا تأخير، كالذي وقع أولاً في بيتي الفرزدق.. ومن التفسير قول كشاجم واسمه محمود بن الحسين:

في فمها مسك، ومشمولة ... صرف، ومنظوم من الدر
فالمسك للنكهة والخمر للري ... قة واللؤلؤ للثغر

وهذا من مليح ما وقع للمحدثين"[٢١]، وكما وقف العلماء على أقسام اللف والنشر وعلى ترتيبه، فقد وقفوا كذلك على صحة التفسير وترتيبها، وما يقبل منها وما لا يقبل.

٤- في ترتيب التفسير، وما يصح من ذلك وما يفسد.

ومن ذلك ما كتبته في كتاب تعزية، وهو فصل منه، قلت: ولقد أوحشت منه المعالي كما أوحشت المنازل، وآتت المكارم كما آمت الحلائل، وعمّت لوعة خطبه فما تشتكي ثكلى إلا إلى ثاكل، وما أقول فيمن عدمت الأرض منه حياها، والمحامد محياها، فلو نطق الجماد بلسان، أو تصور المعنى لعيان؛ لأعربت تلك من ظمأ صعيدها، وبرزت هذه حاسرة حول فقيدها.

ومن ذلك ما كتبته في فصل من كتاب إلى بعض الإخوان؛ فقلت: وما زالت أيادي سيدنا متنوعة في زيادة جودها وكتابها، فهذه متطوّلة بترقية وردها وهذه آخذة بسنة أغبابها، وأحسن ما في الأولى أنها تأتي متحلية بفواضل الإكثار، وفي الثانية أنها تأتي متحلية بفضائل الاختصار؛ فاختصار هذه في فوائد أقلامها، كتطويل تلك

[٢٠]- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ٢/ ٣٧.
[٢١]- العمده في محاسن الشعر وآدابه، ٢/ ٣٨- ٣٩.

في عوائد إنعامها، وقد أصبحت خواطري مستغرقة بإنشاء القول المبتكر، في شكر الفضل المطول وجواب البيان المختصر، وما جعل الله لها من سلطان البلاغة ما يستقلّ بأداء حقوق تنقل على الرقاب، ومقابلة بلاغات تثقل على الألباب.

ومما جاء من ذلك شعرا قول إبراهيم بن العباس:

لنا إبل كوم يضيق بها الفضا ... ويفترّ عنها أرضها وسماؤها
فمن دونها أن تستباح دماؤنا ... ومن دوننا أن تستباح دماؤها
حمى وقرى فالموت دون مراحها ... وأيسر خطب يوم حقّ فناؤها

وهذه الأبيات من نادر ما يجيء في هذا الباب معنى وترتيب تفسير"[٢٢].

"ومما جاء منه أيضا قول أبي تمام:

وما هو إلّا الوحي أو حدّ مرهف ... تميل ظباه أخدعي كلّ مائل
فهذا دواء الدّاء من كلّ عالم ... وهذا دواء الدّاء من كلّ جاهل

وكذلك قوله أيضا:

وكان لهم غيثا وعلما فمعدم ... فيسأله أو باحث فيسائله

وهذا من بديع ما يأتي في هذا الباب. ومما ورد منه قول علي بن جبلة:

فتى وقف الأيّام بالسّخط والرّضا ... على بذل عرف أو على حدّ منصل

ومن الحسن في هذا الباب قول أبي نواس:

يرجو ويخشى حالتيك الورى ... كأنّك الجنّة والنّار"[٢٣]

ومن خلال ما سبق يتبين أن مبحث (اللف والنشر/ الطي والنشر) هو مصطلح قسيم بين البلاغة والإعجاز والتفسير... إلخ، وأن معرفة البلاغيين تناولته من حيث مصطلحي (التفسير- اللف والنشر)، بينما تناوله علماء الإعجاز والتفسير بمصطلح (صحة التفسير) و (التبيين)... وغيرهما، وهذه التعددية تؤكد على قيمة هذا المحسن وعلاقته الوثيقة بالقرآن وجميل الشعر العربي، وهي تلك التي ستعرض في المبحث الثاني.

---

[٢٢]- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: ٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر- بيروت، ١٤٢٠هـ، ص ٢٩٤.

[٢٣]- المثل السائر، ص ٢٩٥.

وليس ذلك فحسب وإنما يتم توظيفه لحاجات بلاغية خاصة وأن له العديد من الدلالات التي يتردد بينها، ويساق من أجلها مثل: "التوكيد: حيث إن اللف والنشر يؤكد المعنى في الذهن ويثبته... تفخيم المبهم وتعظيمه... لأنه هو الذي يطرق السمع أولًا فتذهب النفس فيه كل مذهب... **الإقناع**، لأن اللف والنشر يدعو المتلقي إلى المشاركة في فهم المراد، ثقة به، وهذه الدعوة من وسائل الإقناع، **التفصيل**، ويكون التفصيل في اللف المفصل، وهو تفصيل بليغ. - الإيجاز، ويكون الإيجاز في اللف المجمل، وهو إيجاز بليغ. **التقرير والتمكين**، ففن اللف والنشر يقرر المعني ويمكنه في الذهن. **الإثارة والتنبيه**، فاللف والنشر فيه إثارة وتشويق، كما أنه ينبه السامع ليتلقى ما يأتي بعد ذلك. اللف والنشر يعمل على إعمال الفكر وجذب الانتباه، فيشتاق المتلقي لمعرفة ما يأتي بعد اللف، ورد كل قول إلى صاحبه"[٢٤].

المبحث الثاني: قيمة اللف والنشر ونماذجه في القرآن الكريم وجميل الشعر

- **اللف والنشر في القرآن الكريم:**

إن قيمة اللف والنشر تتضح من خلال علاقته بالقرآن- تلك التي ستكشف عنها النماذج- لاسيما وأن القرآن الكريم خطابًا قديرًا يمكن أن يستوعب كل الشكول البلاغية والإعجازية اللغوية، واللف والنشر يعتبر أحد هذه الشكول، إن على مستوى التحسين اللفظي وإن على مستوى المعنى، ولقد وردت صور اللف والنشر في القرآن الكريم بشتى صورها، وتمكنت من أداء الرسالة المضمنة داخل هذا الخطاب الجليل ووفق ما وضعت له من غايات... وقد تعددت أنماط اللف والنشر وصوره وأغراضه، وكلها كان لها الحظ من التوظيف في الخطاب القرآني، والكشف عن مضمونه. وقد تنوع بين (اللف المفصل والنشر المرتب، اللف المفصل والنشر غير المرتب- اللف المجمل والنشر غير المرتب...)، كما تنوعت الدلالات التي لأجلها يتم توظيف اللف والنشر في القرآن الكريم والشعر العربي، حيث توزعت بين التوكيد والإقناع والتعظيم والتفصيل بعد الإجمال،

---

[٢٤]- بلاغة اللف والنشر في النظم القرآني، عطا الله بن جضعان بن سمير العنزي، رسالة ماجستير، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وزارة التعليم العالي، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٩هـ-١٤٣٠م، ص ٢٦.

والتقرير ولفت الانتباه... إلخ، ويسوق البحث نماذج مختلفة للف والنشر حسب أنماطه وفق الآتي:

١- نموذج اللف المفصل والنشر المرتب، قوله تعالى: **(وَاتَّقُواْ يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ)** [٢٥]

حيث وردت في هذه الآية كلمة **(نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ)** مرتين، والنفس الأولى غير الأخيرة، فهي تختلف في كل مرة عن الأخرى، ثم ذكر الله - عز وجل - ما يقابل كل نفس ليميز بين هذه وتلك، فقال عن النفس الأولى (الجازية): **(وَاتَّقُواْ يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ)** وقال عن الثانية (المجزي عنها): **(عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ)** على طريقة اللف والنشر المرتب فكلاهما نفس لكنهما لا تستويان، وربما كان ورود اللف والنشر في هذه الآية للتفريق بين النفسين لبيان تعددهما وأنهما ليسا نفسًا واحدة ذكرت على سبيل التأكيد.

١- نموذج اللف قوله تعالى: **"أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (٧) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (٨) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (١٠) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (١١)"** [١]

ففي قوله تعالى **" فأما اليتيم فلا تقهر**، راجع إلى قوله: **ألم يجدك يتيمًا فآوى. وأما السائل فلا تنهر**، راجع إلى قوله: **ووجدك عائلًا فأغنى. وأما بنعمة ربك فحدث**، راجع إلى قوله: **فوجدك ضالًا فهدى"** ومن هنا نجد أن الآية الكريمة ذكرت الآخبار مجتمعة ثم رمت بتفسيرها مفصلة بعد ذلك. فقد ذكرت الآية الليل والنهار مقترنين، ثم فسرت لكل منهم قرينته بعد ذلك، حيث الليل ليسكنوا فيه، والنهار ليتقلبوا في صنوف العيش والكسب، وقس على ذلك كل ما ورد في قصص أولي العزم، حيث إن هذا يعمل على حسن الإفهام وتوصيل العبرة بأبلغ ما يكون.

٢- نموذج اللف المجمل والنشر غير المرتب، وهو أن تذكر الأشياء مجملة دون تفصيل، ومن ثم ذكر ما يتعلق بها من غير تعيين، وذلك لأغراض بلاغية تتضح بالتحليل للنماذج القرآنية التي يستلها الباحث، ومثاله قوله تعالى:

٣- : (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ

---

(٢٥)- سورة البقرة - آية ٤٨.

مِنْـهُ الْمَـاءُ وَإِنَّ مِنْهَـا لَمَـا يَهْـبِطُ مِـنْ خَشْـيَةِ اللَّهِ وَمَـا اللَّهُ بِغَافِـلٍ عَمَّـا تَعْمَلُونَ)[٢٦]

جـاء اللـف هنـا علـى هيئـة الإجمـال فـي قولـه تعـالى: " ثـم قسـت قلـوبكم مـن بعـد ذلـك" فأجمـل القلـوب كلهـا وهـي تـدل علـى متعـدد، وبعـدها ذكـر النشـر علـى هيئـة التفصـيل عنـدما قـال: " وإن مـن الحجارة- وهي المشبه بالقلوب- كذا وكذا.

ومـن خـلال اسـتقراء نمـاذج اللـف والنشـر فـي القـرآن الكـريم يمكـن القـول إن (اللـف المفصـل والنشـر غيـر المرتـب) هـو أهـم صـور اللـف والنشـر التـي تتطلـب قـدرة عاليـة مـن المتلقـي علـى الإلمـام بالمقـام وسـياق الآيـات والسـور، ومنهـا تنبـع إعجازيـة اللـف والنشـر فـي أداء الخطاب.

وهـذه هـي أنماطـه المتعـارف عليهـا، وقـد تعـددت شـواهدها فـي القـرآن الكـريم، وذلـك إلـى جانـب الغـرض الـذي يوظـف مـن أجلـه داخـل السياق القرآني، فقد يكون الغرض التوكيد مثل قوله تعالى:

(ضَـرَبَ اللَّهُ مَـثَلًا لِلَّـذِينَ كَفَـرُوا امْـرَأَةَ نُـوحٍ وَامْـرَأَةَ لُـوطٍ كَانَتَـا تَحْـتَ عَبْـدَيْنِ مِـنْ عِبَادِنَـا صَـالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَـا فَلَـمْ يُغْنِيَـا عَنْهُمَـا مِـنْ اللَّهِ شَـيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ)[٢٧]

فـاللف هنـا متعـدد فـي قولـه تعـالى: (امـرأة نـوح) و (امـرأة لـوط)، والنشـر هنـا مجمـل فـي قولـه تعـالى: **(كَانَتَـا تَحْـتَ عَبْـدَيْنِ مِـنْ عِبَادِنَـا صَـالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَـا فَلَـمْ يُغْنِيَـا عَنْهُمَـا مِـنْ اللَّهِ شَـيْئًا)**، وفـي قولـه تعـالى: **(وقيـل ادخـلا النـار مـع الـداخلين)** تأكيـدًا علـى عاقيـة الخيانـة المتوقعـة إثر فعلتهما. وهو لف مفصل، ونشر مجمل.

وكذلك قوله تعالى:

وقـد يكـون التوظيـف لغـرض الإقنـاع كمـا فـي قولـه تعـالى: فـي قولـه تعالى:

١- **(وَأَنْـذِرْ عَشِـيرَتَكَ الْأَقْـرَبِينَ{٢١٤} وَاخْفِـضْ جَنَاحَـكَ لِمَـنِ اتَّبَعَـكَ مِـنَ الْمُـؤْمِنِينَ{٢١٥} فَـإِنْ عَصَـوْكَ فَقُـلْ إِنِّـي بَـرِيءٌ مِّمَّـا تَعْمَلُونَ{٢١٦} وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ)**[٢٨]

فقـد جـاء اللـف هنـا متعـدد فـي قولـه: (**وانـذر**) وقولـه: (**واخفـض جناحـك**)، ثـم جـاء النشـر فـي قولـه تعـالى: (**عشـيرتك الأقـربين**)، وقولـه:

---

[٢٦]- البقرة، ٧٤.

([٢٧]) التحريم: ١٠.

([٢٨]) الشعراء: ٢١٤- ٢١٧.

(**لمن اتبعك من العالمين**). وبعد هذا الأمر جاء التعليل بالتخفيف والمواساة للنبي بأن يتبرأ منهم ويتوكل على الله فهو حسبه. وهو لف مفصل ونشر مرتب

وقد قال الرازي: "والأقرب في الأهل أن المراد به من يلزمه أن يؤدي إليه الشرع فيدخل فيه كل أمته من حيث لزمه في جميعهم ما يلزم المرء في أهله خاصة، هذا إذا حمل الأمر على المفروض من الصلاة والزكاة، فإذا حمل على الندب فيهما كان المراد أنه كما كان يتهجد بالليل يأمر أهله أي من كان في داره في ذلك الوقت بذلك وكان نظره لهم في الدين يغلب على شفقته عليهم في الدنيا، بخلاف ما عليه أكثر الناس. وقيل: كان يبدأ بأهله في الأمر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن سواهم"[٢٩].

٢- ومن النماذج التي وظف فيها اللف والنشر لغرض الإقناع قوله تعالى: **(مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ)** [٣٠].

واللف هنا في قوله تعالى: (**المسيح ابن مريم**)، وقوله: (**وأمه**)، وقد جاء النشر في قوله تعالى: (**إلا رسول قد خلت من قبله الرسل**) وهذا يناسب (**المسيح**)، وقوله: (**صديقة**) وهذا يناسب (**أمه**)، وهذا لف مفصل ونشر مرتب، وجملتا: (**كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ**) جمل حجاجية تعكس وتمثل تأكيد كونهما بشريان.

حيث إن الحجاج "مكونٌ لغويٌ يعبر به المتكلم عن مواقفه؛ إذ تبرز قيمتها وتتخذ صفتها الدعوية عند استعمالها في موقف اختلافي ... وهي البنية الأساسية التي يُفتتح بها الخطاب الحجاجي، كما أنها النتيجة التي يتوخى المستدلّ أن يثبتها أو يبطلها"[٣١]

([٢٩]) التفسير الكبير، الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ، ج ٢١، ص١٩٩.

([٣٠]) المائدة: ٧٥.

([٣١]) الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية مقاربة تداولية، د. عبد الهادي بن ظافر الشهري، الانتشار العربي ، بيروت – لبنان، ط ١، ٢٠١٣م، ص ٢٥٦- ٢٥٧.

١- وقد يعتمد اللف والنشر على المؤكدات من خلال تقديم غرض الإقناع لهذا المبحث، **(إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)**[٣٢].

فاللف هنا في قوله: (**إن تعذبهم**) وقوله: (**إن تغفر لهم**) ثم نشر الأول بقوله: (**فإنهم عبادك**)، والأخير بقوله: (**أنت العزيز الحكيم**)، وهو لف مفصل ونشر مرتب، واللف والنشر هنا جاء لغرضي التأكيد مع الإقناع، حيث إن أسلوب التوكيد الذي جاء صريحًا بالمؤكدات داخل الآية؛ (**إن**) مكررة، والإشارة إلى الطرفين (**إنهم**) و(**إنك**)، والفاء في قوله: (**فإنهم- فإنك**)، والتأكيد على القدرة الإلهية (**أنت العزيز الحكيم**)... كل هذه التراكيب والأدوات تأتي في سياق إقناعي مبني على جملة من المؤكدات ليقر المعنى دون أن يتخلله شك. واللف والنشر من المباحث التي تخدم السياق، وتكشف عن مقصودية النص القرآني في تحديد الخطاب، وتحمل النماذج دلالاتها من السياق الذي وضعت فيه سواء على مستوى الآية أم المقطع أم السورة، فعلى سبيل المثال: "في سياق الآية يكون النظر في السابق واللاحق في الآية الواحدة، دون ما سبقها أو لحقها من آيات أخرى، ويعد سياق الآية من أهم أنواع السياق التي تناولها العلماء في تفسير القرآن والوقوف على معانيه والترجيح بين المعاني التي يظهر بينها شيء من التعارض"[٣٣]

١- فعلى سبيل المثال في قوله تعالى: **{وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا}**[٣٤]

فلقد ورد في هذه الآية محسن اللف والنشر، واستقى دلالته من سياق الآية التي ذكر فيها، حيث إن الآية تحمل معنى مستقلًا، فمن أجاد وأتقن وأحسن في أداء رسالته، واتبع ملة إبراهيم عليه السلام فدان بالحنيفية السمحاء فلا ينتظر أن يوجد من هو أحسن منه في عبادته، خاصة وأن الله اتخذ إبراهيم خليلًا وتلك إشارة تأكيدية على حسن دعوته وقيمة ديانته، فإجمال إحسان الدين ينشر ب (من أسلم

---

(٣٢) المائدة: ١١٨.

(٣٣) دور السياق في فهم القصص القرآني- قصتا آدم وإبراهيم، عليهما السلام أنموذجا، مختار بومدين، قسم العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، الجزائر، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م، ٥٨.

(٣٤) النساء، ١٢٥

وجهه لله وهو محسن)، (واتبع ملة إبراهيم حنيفًا)... لتأتي جملة (واتخذ الله إبراهيم خليلًا)، تبريرًا لذلك الإحسان وهذه الدعوة.

وقد يكون اللف والنشر لغرض التقرير والتمكين كما في قوله تعالى:

١- **(الَّذِينَ ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرًا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)**[٣٥]، فقد ذكر اللف في (الليل والنهار) ونشره في (سرًا) وهو يناسب الليل، و(علانية) وهي تناسب النهار، وذلك ليقرر الله تعالى هذا الجزاء الذي يناله المنفق أيًا ما كانت صورة إنفاقه، ولعل السياق كان له المرجعية في تحديد هذه الدلالة، فالليل والنهار والسر والعلانية ليس المراد دلالتهم المباشرة وإنما إفادة حدوث الإنفاق دون تعيين، إذ أن "الكلمات حينما وضعت إنما كان وضعها للدلالة على المعنى الأصلي، فإذا ما دلت على معاني أخرى غير المعنى الأصلي فتلك معان مستخرجة من السياق"[٣٦]

مثال ذلك الوقوف على ما قاله الله تعالى:

- (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ) [٣٧]

حيث يذكر الله تعالى بني إسرائيل في هذه الآية بقولهم لموسى على وجه التملل لنعم الله: لن نصبر على جنس واحد من الطعام، فادع لنا ربك أن يخرج لنا نباتًا من الأرض، فتم لهم ما أرادوا، ثم جازاهم الله على قلة صبرهم بأن ضرب عليهم الذلة والمسكنة، ورجعوا بغضب الله وسخطه، وما ذاك إلا بكفرهم، وقتلهم للأنبياء، واعتدائهم على عباد الله. [٣٨]

ومن الطبيعي أن تعديد هذه النعمة بأسمائها داخل الآية لم يتم توظيفه هباءً، وإنما جاء لدلالات محددة مستقاة من وضعها داخل هذا التركيب في سياق الآية.

والشاهد في هذه الآية في موضعين:

---

[٣٥]) المعارج، أية ٢٧٤.

[٣٦]) محاضرات في علم النفس اللغوي، حنفي بن عيسى، د ت، مكتبة علم النفس، ٢٠١٥، ص ٨٦

[٣٧]) البقرة، آية ٦١

[٣٨]) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ج ١، ص ٥٩-٦٠.

الأول: قوله تعالى: (**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا**) حيث جاء اللف في قوله تعالى: (**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَىَ طَعَامٍ وَاحِدٍ**) يناسب كل واحد منهما، فقال تعالى: (**مِمَّا تُنبِتُ الأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا**) وهو يقابل قوله: (**طعام واحد**) على طريقة اللف والنشر المرتب.

الثاني: قوله تعالى: (**وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُوْاْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ**) حيث ذكر فعلين مختلفين، هما (**ضربت**) و (**باؤوا**) ثم ذكر ما يناسب كل فعل، فقال: (كانوا يكفرون بآيات الله) إشارة إلى (**ضربت عليهم الذلة**)، ثم قال: (**ويقتلون النبين بغير الحق**) إشارة إلى (غضب الله عليهم)، وجاء ذلك على طريقة اللف والنشر المرتب .

والمفردات التي يحدد السياق دلالتها في هذه الآية هي قوله: (**الذل**) و (**المسكنة**) و (**طعام**) (**بأنهم**) و (**ذلك**) و (**باؤوا**) و (**عصوا**) و (**يعتدون**)، وبيانها كالتالي:

قوله: (الذل) الذُّلُ ضد العز، والمقصود بالذلة في هذه الآية الهوان والضعف .

أما قوله: (المسكنة) فالمسكنة مأخوذة من: سكن سكونًا: أي قر، والمسكين من لا شيء له، أو له ما لا يكفيه، أو أسكنه الفقر أي قلل حركته، ومن معانيه: الذليل والضعيف. فالمسكنة في هذه الآية معنى الفقر والفاقة والضعف.

وكلها تحتمل أوجه أخرى من الدلالة إلا أن مقصود الآية هو الذي يحدد هذه الكلمات وفق هذه المعاني دون غيرها لتوافقها مع السياق.

وقد تكون الدلالة السياقية للنموذج القرآني الخاص باللف والنشر حادثة على مستوى المقطع القرآني، وهو أكبر من الآية ويكاد يطول أو يقصر عن السورة... في قوله تعالى:

١- { **إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٥٦) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٥٧)**}[٣٩]

إن هذه الآيات تم توظيف غرض اللف والنشر فيها لإثارة المتلقي بالجزاء وحسن العاقبة لعيسى عليه السلام- وسوء العاقبة للكفار، وكذلك شمول الرحمة للمؤمنين... فيتنوق السامع بهذه الحوارية الخطابية على مستوى المقطع لما سيحدث لكل طرف من أطراف اللف.

[٣٩]) آل عمران، آية ٥٥: ٥٧.

وللمفسرين في البحث عن معاني القرآن الكريم طريقان وهما التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، أما التفسير بالمأثور فيعتمدون فيه على القرآن ذاته، والسنة، وأقوال الصحابة، يقول ابن كثير: "إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن، وموضحة له ... فإن لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، لما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين المهديين"[٤٠].

ومن هنا يكون للسياق دور حيوي في توظيف مباحث البلاغة واحتوائها داخله، ولعل هذا السياق يساعد في إثبات كون القرآن مناسب لتقرير الأحكام في كل عصر ومصر، ويساعد في التفسير بالرأي الذي ينطلق منه المهرة في تقرير الأحكام مع اختلاف الأزمنة في الآية الواحدة، وذلك من حيث إن التفسير بالرأي هو: "تفسير القرآن بالاجتهاد، بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية، ووجوه دلالتها واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ .... وغير ذلك"[٤١].

وذلك من خلال ما يشير إليه النص القرآني جملة وتفصيلًا من حيث الظاهر والباطن للآيات، فالاجتهاد أولًا وأخيرًا يقوم على معجزة القرآن الخالدة وهي فصاحته، رغم احتمالاته لأوجه عدة، فـ"لا حاجة لنا في فهم كتاب الله إلى غير ما يدل عليه بأسلوبه الفصيح[٤٢]"

وقد يكون السياق على مستوى السورة القرآنية حيث تتعلق دلالات آياتها ببعضها البعض، مثل سورة يوسف مثلًا، أو مريم، أو التحريم... وهكذا.

- **بعض الأغراض البلاغية للف والنشر في القرآن الكريم:**

---

[٤٠]) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٨ هـ، ج ١، ص ٣.

[٤١]) التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٤٠٩ هـ، ج ١، ص ٢٤٦.

[٤٢]) تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المنار، القاهرة، د.ت، **جـ ١، ص ٣٤٠**.

التنبيه على المبهم وتفخيمه، فمن الطبيعي أن المتلقي إذا طرق أذنيه المبهم فإنه يتشوق إلى استجلاءه، ومن ثم يعمد السياق القرآني إلى عرضه وتفخيمه بواسطة اللف والنشر، ومن نماذجه **قول الله تعالى:**

(لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) (٤٣)

في الآية الكريمة لف و نشر، في الآية كلام متعدد وهو قوله تعالى: (لا تدركه الأبصار) ونشره بقوله تعالى: (اللطيف، و قوله تعالى: (وهو يدرك الأبصار) ويقابله النشر (الخبير)، وهذا لف ونشر مرتب.

ولعل سبب التفخيم هنا بعد الإبهام أن هذه الآية وظفت في سياق يتناسب مع عظمته عز وجل، وقدرته التي فاقت قدرة البشر من حيث تمكنه من الإدراك وهو لا يُدرك بالبصر، وهذه خصيصة ربانية ليست لغيره (٤٤)

فعندما ذكر تعالى في موضع اللف بيان عظمته سبحانه، فإن النفوس تتوق وتتشوق لمعرفة ما سيأتي بعد هذا اللف، وهذا أدعي لرسوخ هذا الأمر في نفوس السامعين.

٢- التفصيل والإيجاز البلاغيين:

وهذا يتم توظيفه حسب السياق، وفي الغالب يكون لإثبات جزاء أو نفي عقاب، أو تقرير فكرة تشريعية... ومن نماذجه في سورة البقرة قوله تعالى:

(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (٤٥)

والشاهد في قوله تعالى: **(فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ)**، حيث ذكرت في هذه الآية عبارات متعددة، هي قوله تعالى: **(فمن شهد منكم الشهر فليصمه)** وقوله تعالى: **(ومن كان مريضًا أو على سفر)** وقوله تعالى: **(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)**، ثم ذكر ما يقابل كل عبارة من هذه العبارات الثلاث، فقال سبحانه: (ولتكملوا العدة) وهذا يقابل العبارة الأولى

(٤٣)- سورة الأنعام (١٠٣)
(٤٤)- انظر: التحرير والتنوير (٤١٣/٧/٣)
(٤٥)- سورة البقرة: آية ١٨٥.

(فمن شهد منكم الشهر فليصمه) أي إكمال عدة الشهر بالصوم، ثم قال: (**ولتكبروا الله على ما هداكم**) وهو يقابل العبارة الثانية وهي قوله: (**ومن كان مريضًا أو على سفر**) أي لتكبروا الله على ما هداكم من كيفية قضاء الصوم للمريض والمسافر، ثم قال بعد ذلك: (**ولعلكم تشكرون**) وهو يقابل العبارة الثالثة (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر) أي تشكرون الله على أن أراد بكم اليسر ولم يرد بكم العسر.

والتفصيل هنا عين المقام ومقتضاه حيث إن الله تعالى يريد إقرار مبدأ تشريعي وهو بيان أحوال الصائمين وغير الصائمين في رمضان، وكذلك تفصيل أحوال الناس ليدركوا ما يجب أن يكونوا عليه وحال كل واحد منهم، وتصرفهم في حالة داهمهم عذر أخل بالصيام... وهكذا بأسلوب اللف والنشر المرتب.

ولأن التفصيل في الأحكام الشرعية أساسي وبدئي فقد وظفه السياق القرآني من خلال ما يثبته ويقره في الأذهان ومن خلال مقابلة بديعية دون كلل أو ملل.

٣- وفي مقابل التفصيل نجد (**الإيجاز**) وهو يوظف لحاجة بلاغية كذلك، تستدعي عدم التطويل ولا التفصيل الذي يخل بالمضمون ومن نماذجه كذلك قول الله تعالى: **"وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ)** [٤٦]

فقد ورد في هذه الآية اللف المتعدد المجمل في قوله تعالى: (وكم من قرية) أي قرى كثيرة، والاستفهام هنا إنكاري للتكثير، إلا أنه رغم ذلك فيه إيجاز حذف، حيث استفهم عن هلاك القريةتن والمراد (أهلها) ثم نشر اللف، فقال: (فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ) أي بعض القرى جاءها بأسنا بياتًا، وبعض القرى جاءها بأسنا وهم في وقت القيلولة، و (أو) هنا للتنويع أي جاء لقوم مرة ليلًا، وجاء لقوم مرة وقت القيلولة، ففي الآية لف و نشر مجمل. [٤٧]

إلى جانب العديد من الأغراض البلاغية الأخرى التي يضيق المقام عن تفصيلها، إلا أنه من خلال ما تم عرضه يتضح أن اللف والنشر من أهم الأغراض التي تتواشج مع رسالة القرآن ويتناسب توظيفها مع مقصودية القرآن وإعجازه وبلاغته، وهو كذلك ما يعين المفسرين على الوصول إلى مراميه ومضامينه وحسن تأويله.

([٤٦])- سورة الأعراف، (٤)

([٤٧]) - انظر: البحر المحيط (٤/ ٢٦٩

- **اللف والنشر في الشعر العربي**

لقد برهنت النماذج التي دشنها البحث -في المبحث الأول منه- في ثنايا حديث العلماء عن اللف والنشر بوصفه مصطلحًا وما قابله من مصطلحات أن هذا المحسن وثيق الصلة بالشعر إلى جانب القرآن، فقد ورد اللف والنشر في أشعار الشعراء وتنبه إلى ذلك علماء البلاغة والأدب، وهذا يتماشى مع منطق التراث إذ أن القرآن والشعر يعد أهم مصادر العربية على الإطلاق، وقد ورد في خزانة الأدب قول: "زيادة التورية:

سألته عن قومه فانثنى ... يعجب من إسراف دمعيَ السخي
وأبصر المسك وبدر الدجى ... فقال ذا خالي وهذا أخي"[٤٨]

فقد ورد اللف في (المسك) و(بدر الدجى) ونشرهما في (خالي) وهو يناسب (المسك) و(أخي) وهو يعود إلى (بدر الدجى)، فقد فصل الشاعر القول حينما أراد وصف أخوه وخاله بأن أخرهما هو (مسك) والأول (بدر)، ولكنه أراد جذب الانتباه في هذا الوصف ولم يرد المباشرة التي تخل بقيمة هذه الأوصاف ونسبتها إليهم.

وكذلك أورد الحموي مثالًا آخر وهو يعدد اللف والنشر بأنه حادث بين ثلاثة أطراف حين قال: **"لابن حيوس بين ثلاثة وثلاثة**:

ومقرطق يغني النديم بوجهه ... عن كاسه الملأى وعن إبريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها ... من مقلتيه ووجنتيه وريقه"[٤٩]

فقد ورد اللف في (فعل المدام) ونشر بقوله: (من مقلتيه)، و(لونها) ونشره ب(وجنتيه)، و(مذاقها) ونشره ب (ريقه)، فنجد اللف هنا بين أطراف ثلاثة ونشر بثلاثة خواص كذلك.

وهذا ما نجده كذلك في قول "ابن الرومي:

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم ... في الحادثات إذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح ... تجلو الدجى والأخريات رجوم"[٥٠]

---

[٤٨]- خزانة الأدب، ص ١٥٠.
[٤٩]- خزانة الأدب، ص ١٥٠.
[٥٠]- خزانة الأدب، ص ١٥٠.

حيث ورد اللف في (آراؤكم) و(وجوهكم) و(سيوفكم)، ونشره في (معالم للهدى)، و(مصابح تجلو الدجى) و(رجوم)... والغرض من هذا هو التقرير والتمكين لما يخص كل طرف من المذكور مع التفصيل.

وقد يكون اللف مجمل ويقابل بثلاثة ظاهريًا ولكن له مرده في البيت كما في "قول حميدة الأندلسية وهو:

ولما أبى الواشون إلا فراقنا ... وما لهم عندي وعندك من ثار
غزوناهم من ناظريك وأدمعي ... وأنفاسنا بالسيف والسيل والنار

قال الشيخ شهاب الدين أبو جعفر الأندلسي، نزيل حلب، وقد أورد هذين البيتين في شرحه على بديعية صاحبه، أبي عبد الله محمد بن جابر الأندلسي: إن حميدة كانت من ذوي الألباب، وفحول أهل الآداب"[٥١]

فقد قابلت الشاعرة بين أطراف ثلاثة في اللف ثم نشرتهم لكل ما يناسبه، حيث ورد اللف في (ناظريك) و (أدمعي) و(أنفاسنا)، ونشرتهم ب (السيف) و(السيل) و(النار)... وهذا بغرض جذب الانتباه والإثارة التي تتناسب مع مقام التبرير واللوعة والحب.

خاصة وأن حميدة الأندلسية من الشاعرات التي عرفت بقوة شاعريتها في هذا الصدد، "حتى إن بعض المنتحلين تعلق بهذه الأهداب، وادعى نظم هذين البيتين، لما فيهما من المعاني والألفاظ العذاب، وما غيره في ذلك إلا بعد ديارها، وخلو هذه البلاد من أخبارها، وقد تلبس بعضهم بشعارها وادعى هذا من أشعارها وهو قولها:

وقانا لفحة الرمضاء روض ... وقاه مضاعف الطل العميم
تظل غصونه تحنو علينا ... حنو الوالدات على الفطيم
وأسقانا على ظمإ زلالًا ... ألذ من المدامة للنديم
تروع حصاه حالية الغواني ... فتلمس جانب العقد النظيم

فهذه الأبيات نسبوها إلى المنازي من شعرائهم، وركبوا التعصب من جادة ادعائهم، وهي أبيات لم يحكها غير لسانها، ولا رقم بردها غير حسانها، وقد رأيت بعض المؤرخين من أهل بلادنا أثبتوها لها،

[٥١]- خزانة الأدب، ص ١٥٠.

قبل أن يخرج المنازي من العدم إلى الوجود، ويتصف بلفظه الموجود"[٥٢]

وهذه النماذج كلها وإن لم يصرح فيها المصنف على المصطلح إلا أنها تضمنت مضمونه، وأعربت عن التفات العلماء إليه، ومن ذلك أيضًا: "قول الشيخ جمال الدين بن نباتة، رحمه الله تعالى وعفا عنه آمين.

عرج على حرم المحبوب منتصبًا ... لقبلة الحسن وأعذرني على سهري
وانظر إلى الخال فوق الخد تحت لمى ... تجد بلالًا يراعي الصبح في السحر

ومنه بين أربعة وأربعة:

ثغر وخد ونهد واحمرار يد ... كالطلع والورد والرمان والبلح"[٥٣]

حيث ورد اللف في (ثغر) ونشره في (كالطلع)، و(خد) ونشره في (الورد)، و(نهد) ونشره في (الرمان)، و(احمرار) ونشره في (البلح)... فهو لم يشر أن هذا من باب التشبيه المتعدد تخلصًا من المصطلح، وإنما أثبت أن مضمون اللف والنشر معلوم لديهم بالضرورة.

ومثله أيضًا: "قول شمس الدين بن العفيف، رحمه الله تعالى:

رأى جسدي، والدمع والقلب والحشا ... فأضنى وأفنى واستمال وتيما

ومثه قولي في قصيدة:

من محياه والدلال ومسك الـ ... خال والثغر يا شيوخ البديع
انظر في التكميل واللف والنشـ ... ـر وحسن الختام والترصيع

وللشيخ شهاب الدين، أبي جعفر الشارح، المذكور بين خمسة وخمسة، ولكن لم يخل من التعسف، وهو:

ملك يجيء بخمسة من خمسة ... كفى الحسود بها فمات لما به
من وجهه ووقاره وجواره ... وحسامه بيديه يوم ضرابه
قمر على رضوى تسير ب الصبا ... والبرق يلمع من خلال سحابه"[٥٤]

---

[٥٢]- خزانة الأدب، ص ١٥١.
[٥٣]- خزانة الأدب، ص ١٥١.
[٥٤]- خزانة الأدب، ص ١٥٠- ١٥٢.

ففي بيت شمس الدين ورد اللف في (جسدي- الدمع- القلب- الحشا)، ونشره في (أضنى/ للجسد، أفنى/ للدمع، استمال/ للقلب، تيما/ للحشا...)، والبيتين التاليين أهم منه دلالة حيث إنهما من بين النماذج السابقة تضمنا المصطلح (اللف والنشر) بصورة مباشرة، وقد جعل اللف في (محياه- الدلال- مسك الخال- والثغر) ونشرهم في (التكميل/ محياه، واللف والنشر/ الدلال، حسن الختام/ مسك الخال، الترصيع/ للثغر)، وهذه محاولة من الشاعر لأن يقرب الأصناف البديعية للأذهان بأقرب ما يكون من خلال التمثيل تارة، ومن خلال اللف والنشر تارة أخرى.

وفي هذه الأبيات السابقة نجد أن الشعراء قد جمعوا بين متعددات ثم ردوا ما يتعلق بكل معنى بما يلزمه، وقد كانت الأطراف المرسلة على قدر ما نشرت له، كما أن النماذج في المبحث الأول في تعدد المصطلح وتحريره كافية ووافية، وقادرة على الإعراب عن قيمة هذا المحسن البديعي في إيضاح الدلالة والكشف عن مقصودية الخطاب القرآني والشعري بل والنثري كذلك.

وقد جمع قاضي القضاة نجم الدين عبد الرحيم بن البارزي، بين سبعة وسبعة:

يقطع بالسكين بطيخة ضحى ... على طبق في مجلس لأصاحبه
كبدر ببرق صد شمسًا أهلة ... لدى هالة في الأفق بين كواكبه

ومن النماذج التي أوردها ابن رشيق القيرواني في العمدة "قول عروة بن الورد:

وإن امرأ يرجو تراثي وإن ما ... يصير له منه غداً لقليل
ومالي مال غير درع ومغفر ... وأبيض من ماء الحديد صقيل
وأشمر خطي القناة مثقف ... وأجرد عريان السراة طويل

هكذا أنشدوه بالإقواء، ويجوز أن يرفع على القطع والإضمار، كأنه قال: هو صقيل، أو قال: ولي أبيض من ماء الحديد، يعني سيفه. وقال ذو الرمة في التفسير:

وليل كجلباب العروس ادرعته ... بأربعة والشخص في العين واحد
أحم علافي، وأبيض صارم ... وأعيس مهري، وأروع ماجد

ففسر الأربعة ما هي، ورفع على شرط ما قدمت من الإضماز، كأنه قيل له: ما الأربعة التي شخصها في العين واحد؟ فقال: كذا وكذا وكذا... ومن التفسير ما يفسر الأكثر فيه بالأقل، وهو من باب الإيجاز والاختصار"[٥٥]

فقد جاء اللف في (الليل الذي يشبه جلباب العروس)، ثم نشره بأربعة صور (أحم علافي- أبيض صارم- أعيس مخري- أروع ماجد...)

- **الخاتمة والنتائج:**

بعد هذه المحاولة في إيجاز ما قيل حول مصطلح اللف والنشر من تعددية، وبيان قيمته من خلال النماذج القرآنية والشعرية على مختلف المؤلفات وتنوعها، فقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج لعل أهمها ما يلي:

١- وضحت الدراسة أن مصطلح اللف والنشر قديم المعرفة في التراث البلاغي ولكن من خلال العديد من المصطلحات الأخرى.

٢- فصلت الدراسة المصطلحات التي قابلت مصطلح (اللف والنشر) عند علماء التراث بمختلف المصنفات في المدونة التراثية بين (صحة التفسير- التبيين- اللف والطي...)

٣- بينت الدراسة أن هناك من قصر التفسير على الأبيات الشعرية، بل هناك من قصرها على البيت الواحد، وهناك من جعلها في البيت والأبيات دون قصر أو تعيين.

٤- كشفت الدراسة عن أن بعض العلماء اشترط المقابلة العددية بين طرفي اللف والنشر حتى يعد بهذه الصورة لفًا ونشرًا.

٥- لقد أكدت الدراسة على بلاغة توظيف محسن اللف والنشر في الخطاب القرآني والنصوص الشعرية، وكذلك على دوره في إثراء الخطاب اللغوي والبلاغي داخل النصوص بصفة عامة.

٦- برهنت الدراسة على أهمية محسن اللف والنشر في توصيل الخطاب المقصود من النص القرآني خاصة، معتمدًا على الإقناع والقيمة البلاغية الخاصة بهذا المحسن المعنوي.

---

[٥٥]- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ٢/ ٣٦.

٧- أعربت الدراسة عن دور هذا المحسن المعنوي في الكشف جماليات النصوص وتفسيرها والإبانة عن حواريتها.

٨- أثبتت الدراسة العلاقة القوية بين محسن اللف والنشر وبين الدلالات السياقية التي تسهم في تحديد مضامين الخطاب.

قائمة المصادر والمراجع:

- بلاغة اللف والنشر في النظم القـــرآنـــي، عطا الله بن جضعان بن سمير العنزي، رسالة ماجستير، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وزارة التعليم العالي، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٩هـ- ١٤٣٠م.
- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (المتوفى: ٦٥٤هـ)، تحقيق: د. حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، د. ط، د. ت.
- تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، محمد رشيد رضا، دار المنار، القاهرة، د.ت.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٨هـ.
- التفسير الكبير، الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١١هـ.
- التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ١، ١٤٠٩هـ.
- خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (المتوفى: ٨٣٧هـ)، تحقيق: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال- بيروت، دار البحار- بيروت، ٢٠٠٤م.
- الخطاب الحجاجي عند ابن تيمية مقاربة تداولية، د. عبد الهادي بن ظافر الشهري، الانتشار العربي ، بيروت – لبنان، ط ١، ٢٠١٣م.
- دور السياق في فهم القصص القرآني- قصتا آدم وإبراهيم، عليهما السلام أنموذجا، مختار بومدين، قسم العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، الجزائر، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.
- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، شرح وتصحيح عبد المتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، د. ط، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.
- الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية – بيروت، ١٤١٩هـ.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
- عمدة الكتاب، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، (المتوفى: ٣٣٨هـ) تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، الجفان والجابي للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

- الكامل في اللغة والأدب، المبرد، مؤسسة المعارف، بيروت، د. ط، د. ت، ١/ ٧٥.
- اللف والنشر في سورة الشمس والليل والضحى والانشراح- دراسة عن المحسنات المعنوية، محمد حفيضة، بحث منشور بمجلة نيدهمول هاق، العدد الثاني، المجلد الأول، مارس ٢٠١٧م.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (المتوفى: ٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر- بيروت، ١٤٢٠هـ، ص ٢٩٤.
- محاضرات في علم النفس اللغوي، حنفي بن عيسى، د ت، مكتبة علم النفس، ٢٠١٥م.
- مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت: ٦٢٦هـ)، تعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الإمام برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.
- نقد الشعر، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي، أبو الفرج (المتوفى: ٣٣٧هـ)، مطبعة الجوائب- قسطنطينية، الطبعة الأولى، ١٣٠٢هـ.